مبادئ منهج التفسير الاشاري

عدي أيمن يحيى الجزائري
طالب دكتوراه في كلية علوم القرآن والحديث ، جامعة الأديان والمذاهب ، قم ، إيران
odaya.aljazaeri@uokufa.edu.iq
الدكتور علي عبد الله زاده
أستاذ في كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية ، جامعة فردوسي مشهد ، مشهد ، إيران
abdollahzadeh@um.ac.ir
الدكتور احسان بور نعمان
أستاذ مساعد ، كلية علوم القرآن والحديث ، جامعة الأديان والمذاهب ، قم ، إيران
Ehsnpourn@um.ac.ir

Principles of the Allusive Interpretation Method

Adi Ayman Yahya Al-Jazairi
PhD student at the Faculty of Quranic and Hadith Sciences, University of Religions and Schools, Qom, Iran
Dr. Ali Abdollah Zadeh
Professor at the Faculty of Theology and Islamic Studies, Ferdowsi University of Mashhad, Mashhad, Iran
Dr. Ehsan Pour Noman
Assistant Professor, Faculty of Quranic and Hadith Sciences, University of Religions and Schools, Qom, Iran

الملخص:-

تعتبر مبادئ المنهج الاشاري من المبادئ المهمة، حيث ان المفسرين وخصوصا أصحاب هذا المنهج قد اعتمدوا عليها، ومنها نظرية روح المعنى ونظرية تطابق كتاب التدوين وكتاب التكوين اذ انها من النظريات المهمة، حيث إن نظرية روح المعنى ترتبط بتأويلات العلماء والعرفاء وخصوصا في عالم النص القرآني، حيث تسهم في فهم وتفسير القرآن الكريم ومسألة بطون القرآن، وتتعلق بمسألة وضع الألفاظ لتعبر عن المعاني العميقة للقران، ونشأت هذه النظرية نتيجة لمسألة الألفاظ المتشابهة في القرآن، وتركزت على الألفاظ التي تشير إلى الظواهر الغيبية، مثل القلم، والميزان، والكرسي، والعرش، وما شابهها، التي تتحدث عن مفاهيم مادية، بالرغم من أنها في الواقع تشير إلى مفاهيم غيبية، وخصوصا إن الله ليس كمثله شيء، فإنه لا يمكن أن تكون هذه الألفاظ تعبر عن وضعيته المادية، مما حدى ببعض العلماء إلى إنشاء نظرية روح المعنى لحل هذا الإشكال.

وكذلك نظرية تطابق كتاب التدوين والتكوين، فان كل ما يوجد في القرآن الكريم الذي يعتبر كتاب التدوين له انعكاس في عالم التكوين، حيث إن الكلمات التكونية التي لها وجود معنوي ووجود حقيقي فالسماء والأرض والبر والبحر والجبال كلمات تكونية معنوية وهي حقيقة، كونها قد أوجدها الله تعالى فقد قال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فالأيجاد المادي مطابق للإيجاد المعنوي فقوله(كن فيكون) ليس هناك فاصل زمني بين الإيجاد والوجود وكل الموجودات لها نفس هذا الوجود المتطابق كونها الكلمات التي أوجدها سبحانه وليس هذا الوجود والإيجاد مختص بعالم الدنيا فحسب، بل ويشمل عالم الملك والملكوت والجبروت.

فحاولنا في هذا البحث أن نسلط الضوء على هاتين النظريتين ومعرفة مدى تأثيرهما على الفهم القرآني.

الكلماتُ المفتاحيةُ: مبادئ، المنهج، الاشاري، التفسير.

Abstract:-

The principles of the indicative approach are considered important principles, as interpreters, especially the proponents of this approach, have relied on them, including the theory of the spirit of meaning and the theory of the correspondence between the Book of Recording and the Book of Genesis, as they are important theories, as the theory of the spirit of meaning is linked to the interpretations of scholars and mystics, especially in the world of the Qur'anic text, as it contributes to understanding and interpreting the Holy Qur'an and the issue of the inner meanings of the Qur'an, and is related to the issue of placing words to express the deep meanings of the Qur'an, and this theory arose as a result of the issue of similar words in the Qur'an, and focused on words that refer to metaphysical phenomena, such as the pen, the scale, the chair, the throne, and the like, which speak of material concepts, although they actually refer to metaphysical concepts, especially since there is nothing like God, it is not possible for these words to express his material position, which prompted some scholars to create the theory of the spirit of meaning to solve this problem. As well as the theory of the correspondence of the book of recording and formation, everything in the Holy Quran, which is considered the book of recording, has a reflection in the world of formation, as the words of creation that have a moral existence and a real existence, so the sky, the earth, the land, the sea and the mountains are moral words of creation and they are real, because they were created by God Almighty, as He, the Almighty, said: (Our word to a thing when We intend it is only that We say to it, "Be," and it is) so the material creation is identical to the moral creation, so His saying (Be, and it is) there is no time interval between creation and existence, and all beings have the same identical existence because they are the words that He, the Almighty, created, and this existence and creation is not specific to the worldly world, but to the worldly world and includes the world of kingship, kingdom, and power.

So we tried in this research to shed light on these two theories and to know the extent of their influence on the Quranic understanding.

Keywords: method, indicative, principles interpretation.

المقدمة:ـ

نظرية روح المعنى هي إحدى النظريات التفسيرية التي تسعى إلى استكشاف الأبعاد العميقة والمعاني الباطنية للقرآن الكريم، تعتمد هذه النظرية على الفهم العميق للنص القرآني وتفسيره بما يتجاوز المعاني الظاهرة والمباشرة، لتصل إلى الجوانب الروحية والفلسفية للنص. يرى أنصار هذه النظرية أن القرآن يحتوي على مستويات متعددة من المعاني، وأن فهم النص يجب أن يكون متعدد الأبعاد، يشمل السياقات التاريخية واللغوية والروحية. تهدف هذه النظرية إلى تحقيق انسجام بين معاني القرآن الظاهرة والباطنة، وتؤكد على أهمية التأمل والتدبر في النص للوصول إلى فهم أعمق وأكثر شمولية لرسالة القرآن.

وأيضا إن نظرية تطابق كتاب التدوين والتكوين هي نظرية تفسر العلاقة بين النص القرآني ككتاب مدون والواقع الكوني كتجسيد لتلك النصوص، وفقًا لهذه النظرية، القرآن ليس فقط كتابًا مقدسًا يتضمن تعاليم وتشريعات، بل هو أيضًا انعكاس للنظام الكوني وللقوانين الإلهية التي تحكم الكون، بعبارة أخرى، ما هو مكتوب في القرآن من آيات وأحكام هو تجسيد للنظام الكوني الذي خلقه الله، يسعى أنصار هذه النظرية إلى إثبات أن هناك تطابقًا تامًا بين ما جاء في القرآن وما يحدث في الكون، وأن القرآن يقدم تفسيرًا شاملاً للحياة والوجود من خلال هذا التطابق، وتعزز هذه النظرية الفهم الشامل للقرآن باعتباره ليس فقط نصًا دينيًا، بل كدليل على النظام الكوني والإلهي.

واشتمل هذا البحث على مبحثين، المبحث الأول حول نظرية روح المعنى وفيه ثلاثة مطالب المطلب الأول التعريف بنظرية وضع اللفظ لروح المعنى والمطلب الثاني أهمّ المفسرين الذين أخذوا بنظرية وضع الألفاظ لروح المعاني والمطلب الثالث شواهد وأدلة وضع الألفاظ لروح المعنى.

أما المبحث الثاني حول نظرية تطابق كتاب التدوين وكتاب التكوين وفيه ثلاثة مطالب المطلب الأول التعريف بنظرية تطابق كتاب التدوين وكتاب التكوين والمطلب الثاني العلاقة بين كتاب التدوين وكتاب التكوين في الحروف والكلمات والمطلب الثالث تطبيقات العلماء للنظرية.

هيكلية البحث:

المبحث الأول: نظرية روح المعنى

المطلب الأول: التعريف بنظرية وضع اللفظ لروح المعنى

المطلب الثاني: أهمّ المفسرين الذين أخذوا بنظرية وضع الألفاظ لروح المعاني

المطلب الثالث: شواهد وأدلة وضع الألفاظ لروح المعنى

المبحث الثاني: نظرية تطابق كتاب التدوين وكتاب التكوين

المطلب الأول: التعريف بنظرية تطابق كتاب التدوين وكتاب التكوين

المطلب الثاني: العلاقة بين كتاب التدوين وكتاب التكوين في الحروف والكلمات

المطلب الثالث: تطبيقات العلماء للنظرية

المبحث الأول

نظرية روح المعنى

المطلب الأول: التعريف بنظرية وضع اللفظ لروح المعنى

نظرية روح المعنى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بتأويلات العلماء والعرفاء المرتبطة بعالم النص القرآني، حيث تسهم في فهم وتفسير القرآن الكريم وقضية البطون، وتتعلق بمسألة وضع الألفاظ لتعبر عن معانيه العميقة، أو وضع الألفاظ لروح المعاني.

نشأت هذه النظرية نتيجة لمسألة الألفاظ المتشابهة في القرآن، وتركزت على الألفاظ التي تشير إلى الظواهر الغيبية، مثل القلم، والميزان، والكرسي، والعرش، التي يبدو أنها تتحدث عن مفاهيم مادية، على الرغم من أنها في الواقع تشير إلى مفاهيم غيبية. ونظرًا لأن الله تعالى لا ينتمي إلى العالم المادي، فإنه لا يمكن أن تكون هذه الألفاظ تعبر عن وضعيته المادية، مما دفع بعض العلماء إلى ابتكار نظرية روح المعنى لحل هذا التناقض.

تتمحور هذه النظرية حول فكرة أن الألفاظ في القرآن الكريم ليست محصورة بمعانيها الظاهرة والمادية، بل تحمل معاني أعمق وروحا خفية تعبر عن مفاهيم غيبية وروحانية.

وبهذا الشكل، يمكن فهم الألفاظ التي تشير إلى الظواهر الغيبية كتعبير عن جوانب أخرى من الوجود تتعلق بمعاني اخرى.

باستخدام نظرية روح المعنى، يمكن للعلماء أن يفسروا الألفاظ القرآنية بشكل أعمق وأوسع، ويكشفوا عن الأبعاد الروحية والمعنوية التي تنطوي عليها، مما يساهم في فهم أعمق للقرآن الكريم ورسائله.

تخلص هذه النظريّة، خلافاً لنظريّة الوضع السائدة، بأن الواضع عندما وضع الألفاظ للمعاني لم يلاحَظْ المصداق المادّي، و يضع اللفظ لهذا المصداق، وانما المعنى المشترك بين المصداق المادّي والمعنوي، ثم بعد ذلك وضع اللفظ لهذا المعنى المشترك، فمثلاً: عندما وضع لفظ الميزان لمعناه لم يتصوَّر الميزان المادّي، وإنما تصوَّر المعنى المشترك له و للميزان المجرّد من مواصفاته المادّية، فوَضَعَ اللفظ لهذا المعنى المشترك، ولذا عندما يطلق القرآن لفظ الكرسيّ والعرش الميزان وما شابهها في ما يرتبط بالله تعالى لا يستعملها بالمعنى المادّي، حتى لا نضطرّ لحملها على الاستعمالات المجازية، وإنما استعملها بمعنى اعم، فكان استعماله لها على الحقيقة.

وعليه المطلوب عند تفسير القرآن الكريم تفسيراً حقيقيّاً أن نجرد أيّ مفردةٍ من مفرداته من الخصائص المادّية، وننظر إلى روحها، فنتحي التصوُّر المادّي الذي ينسبق إلى الذهن انسباقا أوليا، لأنه في الواقع ناشئ من الاستئناس الذهني بالمصاديق المادية، وعليه لا يعبِّر عن الوضع الحقيقي.

هذه هي الفكرة العامّة لنظريّة روح المعاني رغم إن أصحابها اختلفوا في صياغتها، بالرغم من إن النتائج واحدة.

والملاحظ أنّ هذه النظريّة قريبة من نظريّة إنكار المجاز في القرآن الكريم، مثلا نرى أن العلاّمة الطباطبائي وإنْ كان لم ينكر المجاز في القرآن الكريم، ولكنه عندما تبنى هذه النظريّة قلَّل المجاز كثيراً في تفسيره، وحملها على الاستعمالات الحقيقية[١].

وفي المقابل نرى من لم يتبنى هذه النظرية من العلماء[٢]، حيث انهم ركزوا على الأسلوب البياني للقران الكريم والذي يعتمد على الكثير من الاستعارات والكنايات، مما

أدى إلى وضع الكثير من الآيات في دائرة المجازات، مستبعدين بقائها على ظاهرها الحقيقية.

يراد بنظرية روح المعنى أنّ الواضع لم يلحظ عند وضع الألفاظ معانيها الماديّة بل جردها من قوالبها الماديّة ووضَع اللفظ للمعنى العام الذي ينطبق على الحقائق الغيبية أيضاً، فمثلاً إذا أخذنا مفردة (القلم) فإنّ الواضع وفق هذه النظرية لم يلحظ فيه أن يضع اللفظ لما كان بهذا القالب المتعارف الخشبي أو غيره بل وضعه للمعنى العام الذي يشمل كلّ ما يؤدي غرض نقش المعلومة ورسمها سواء كان الرسم على قرطاس أو في الذهن فلا فرق في ذلك[٣].

وبهذا تضيق وتنحسر دائرة المجازات في اللغة فيكون مثلاً استعمال كلمة اليد في القوّة ليس من المجاز لأنّ مفردة اليد لم يلحظ الواضع فيها قالباً مادياً معيناً وإنما وضعها للمعنى المجرّد العام والذي من مصاديقه القوّة.

وتأخذ نظرية روح المعنى مع السيّد محمد حسين الطباطبائي ﷺ بُعداً أكثر دقّة ممّا عليه عند الفيض الكاشاني ﷺ حيث يرى السيّد الطباطبائي أنّ الضابطة في صدق الألفاظ على معانيها هو اشتمال المعنى (المصداق) على الغرض والغاية فأي مصداق انطبقت عليه هذه الضابطة صحّ استعمال اللفظ فيه حقيقة وليس مجازاً، وننقل هنا كلامه ﷺ بتمامه لأهميته حيث قال: " المسميات المادية محكومة بالتغير والتبدل بحسب تبدل الحوائج في طريق التحول والتكامل كما أن السراج أول ما عمله الإنسان كان إناء فيه فتيلة وشيء من الدهن تشتعل به الفتيلة للاستضاءة به في الظلمة، ثم لم يزل يتكامل حتى بلغ اليوم إلى السراج الكهربائي ولم يبق من أجزاء السراج المعمول أولا الموضوع بإزائه لفظ السراج شيء ولا واحد. وكذا الميزان المعمول أولا، الميزان المعمول اليوم لتوزين ثقل الحرارة مثلا. والسلاح المتخذ سلاحا أول يوم، ليس السلاح المعمول اليوم إلى غير ذلك، فالمسميات بلغت في التغير إلى حيث فقدت جميع أجزائها السابقة ذاتا وصفة والاسم مع ذلك باق، وليس إلا لان المراد في التسمية إنما هو من الشيء غايته، لا شكله وصورته، فما دام غرض التوزين الاستضاءة أو الدفاع باقيا كان اسم الميزان والسراج والسلاح وغيرها باقيا على حاله.

فكان ينبغي لنا أن نتنبه أن المدار في صدق الاسم اشتمال المصداق على الغاية والغرض، لا جمود اللفظ على صورة واحدة، فذلك مما لا مطمع فيه البتة، ولكن العادة والإنس منعانا ذلك."[٤].

المطلب الثاني: أهمّ المفسرين الذين أخذوا بنظرية وضع الألفاظ لروح المعاني

عمل بنظرية روح المعنى عدد من المفسرين ابتداءً من أبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) وصولاً إلى العلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي ﷺ في العصر المتأخر.

حيث تعتبر نظرية روح المعنى من الأبحاث المهمة في مجالات عدة، مثل اللغة والتفسير وأصول الفقه وغيرها. وقد شهدت هذه النظرية تقارير عديدة من قبل علماء مختلفين، بدءًا من الغزالي وصولاً إلى صدر المتألهين والفيض الكاشاني والعلامة الطباطبائي والإمام الخميني، بالإضافة إلى غيرهم من العلماء الماضين والمعاصرين.

ومن أشهر المفسرين الذين اعتمدوا على هذه النظرية:

- الغزالي ت ٥٠٥ هـ، في كتابه "جواهر القرآن" حول نظرية روح المعنى[٥] وقدم تفسيرًا لقوله تعالى في سورة العلق ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[٦].
- صدر المتألهين الشيرازي (ت: ١٠٥٠ هـ) له تفسير مطبوع وأيضًا اعتمد على نظرية وضع اللفظ لروح المعنى[٧]، وقام بالتعليق على كلام الغزالي في هذا السياق.
- السيد محمد حسين الطباطبائي ﷺ في تطوير هذه النظرية، حيث ركز على أهمية اشتمال المصداق على الغرض والغاية، مشيرًا إلى أن المسميات المادية قد تتغير مع التطور ولكن الاسم يظل باقيًا بهذه الطريقة، ويتم تفسير الكلمات والمفاهيم في القرآن الكريم بمرونة وتعدد الدلالات استنادًا إلى الفهم الروحي للمعاني العامة.

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾) بيان "لعموم الحشر لهم وأن حياتهم الموهوبة نوع حياة تستتبع الحشر إلى الله كما أن الحياة الإنسانية كذلك، ولذلك أرجع الضمير المستعمل في أولي الشعور والعقل، فقال: «إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» إشارة إلى أن أصل الملاك وهو الأمر الذي يدور عليه الرضا والسخط والإثابة والمؤاخذة موجود فيهم"[٨].

وقد وقع في الآية التفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير ثم إلى الغيبة بالنسبة إليه تعالى،

والتدبر فيها يعطي أن الأصل في السياق الغيبة وإنما تحول السياق في قوله: «ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ» إلى التكلم مع الغير لكون المعترضة خطابا خاصا بالنبي ص فلما فرغ منه رجع إلى أصل السياق.

المطلب الثالث: شواهد وأدلة وضع الألفاظ لروح المعنى

أوّلاً: نلاحظ أنّ من جملة ظواهر اللغة ظاهرة تطور المسمى وتغيره بمرور الزمان مع بقاء صدق الاسم نفسه عليه فمثلاً كلمة (السراج) تمّ إطلاقها في أوّل الأمر على السراج البدائي الذي يتكوّن من إناء فيه (فتيلة) وشيء من الدهن يعمل على استمرار اشتعال الفتيلة لغرض الإضاءة ولكن تطوّر السراج كثيراً حتى بلغ في عصرنا هذا السراج الكهربائي بأنواعه المتعددة فقد تغيّرت جميع أجزاءه ومظهره ومع ذلك لا يزال يُطلق عليه الاسم نفسه أعني (السراج) مادام يؤدي الغرض نفسه وهو الإضاءة.

وهكذا مفردة الميزان الذي قد تطور وتغيرت مصاديقه ولكن ظلّ يصدق عليها اسم الميزان مادام أنها تؤدي نفس الغرض وهو الوزن، وتوجد مفردات كثيرة في اللغة من هذا القبيل.

إنّ انطباق الاسم نفسه على المصداق بعد تطوره وتغير جميع أجزاءه وكفاية مجرّد تحقق الغرض منه في صدق الانطباق يدلّ على أنّ الألفاظ موضوعة لروح المعاني وليس للجزئيات الخارجية. وقد استدلّ بهذا الشاهد على هذه النظرية السيد محمد حسين الطباطبائي (قدّس سره) في مقدمة تفسير الميزان.[٩]

ثانياً: لقد وردت ألفاظ كثيرة في النصوص الدينية ذات معانٍ مجرّدة لا يمكن حملها على معانيها المادية للزوم جملة من المحذورات إذا اقتصرنا على المعاني المادية كمحذور التجسيم أو التشبيه وغيرهما وهذه الألفاظ من قبيل ألفاظ اليد الإلهية واللوح والكرسي والعرش والرحمة الإلهية وما شابهها[١٠].

أضف إلى ذلك أنّ تفسير جميع هذه الألفاظ على أنّها ضرب من الاستعمالات المجازية لا يتماشى مع الطبع والذوق السليم، فالشارع قد تكلّم عنها بلسان الحقائق التي لا شكّ

فيها، ولا شك في أنّ الأمور الغيبية هي سرّ الحقائق فان حملها على المجاز لا يليق بذلك ولا ينسجم معه، فالأولى حمل هذه الاستعمالات على المعاني الحقيقية وذلك بتجريد معانيها عن قيود المادة وأوصافها حتى تستقيم النسبة إليها بهذه الأسماء.

ثالثاً: من المؤيدات والشواهد التي اعتمدوها في إثبات صحّة نظرية وضع اللفظ لروح المعنى هو وجود هذه النزعة والتوجّه في كتب اللغة عند البحث عن الجذر اللغوي للكلمة بأن يكون لهذا الجذر معنى جامعاً ترجع إليه جميع المعاني التي تدلّ عليها اشتقاقات وتصريفات الكلمة ومن الكتب التي اهتمت بهذا الجانب كتاب (مقاييس اللغة) لابن فارس[١١] وغيرها، يقول ابن فارس في باب العين[(عين) العين والياء والنون أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على عُضوٍ به يُبْصَر ويُنظَر، ثم يشتقُّ منه، والأصلُ في جميعه ما ذكرنا، قال الخليل: العين النّاظرة لكلِّ ذي بَصَر. والعين تجمع على أعيُن وعُيون وأعيان[١٢]].

المبحث الثاني

نظرية تطابق كتاب التدوين وكتاب التكوين

المطلب الأول: التعريف بنظرية تطابق كتاب التدوين وكتاب التكوين

إن قضية تطابق كتاب التدوين وكتاب التكوين من المسائل التي تعتبر مبدا من المبادئ الإشارية التي استفاد منها قسم من العلماء وخصوصا في عملية التفسير، لاستنطاق القرآن الكريم والخروج برؤية شاملة غير جامدة على عالم التدوين وتكون مؤثرة تأثيرا كبيرا على فهم النص بعيدا عن الجمود في التفسير على المعاني اللغوية التي تحدد فاعلية القرآن الكريم، في حين نرى إن التطابق بين عالم التدوين وعالم التكوين يفتح آفاقا واسعة لفهم النص القرآني فهما لا يمكن أن ينتجه الجمود على المعاني اللغوية فقط.

هذا البحث الذي ينبغي أن نقف عنده: أن العرفاء يعتقدون أن التأويل معناه كيفية التطابق بين الكلمات اللفظية والكلمات الوجودية، وهذا معنى التأويل عند العرفاء، طبعا ليس عند العرفاء هذا المبنى فقط بل مشى عند كثير من الأعلام، لأنه بعد أن ثبت لنا أن الله (سبحانه وتعالى) متكلم وان له كلام عندما نأتي إلى القرآن الكريم نجد انه عبر عن هذه

الموجودات تارة عبر عنها آيات وأخرى عبر عنها كلمات وثالثة عبر عنها حروف، السيد حيدر الآملي يقول عندما نأتي إلى القرآن الكريم نجد انه عبر عن موجودات عالم التكوين تارة بأنها كلمات إلهية، وأخرى عبر عنها {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم} فعبر عنها آيات، وثالثة عبر عنها بالحروف لذا قال {طه}، {يس} وهي حروف إشارة إلى وجود الخاتم.

طبعا فقط ما عبر عن الوجودات الخارجية بالسور والا القرآن الكريم مركب من الآيات والكلمات والحروف، اذن هناك تطابق تام بين الكلمات والحروف والآيات القرآنية وبين الكلمات والآيات والحروف التكوينية الوجودية، وهذا هو معنى التأويل عندهم.

فلو سألنا العارف ما هو مرادك من التأويل؟ يقول: كيفية المطابقة بين الكلمات والآيات والحروف اللفظية التدوينية مع الكلمات والآيات والحروف الوجودية والتكوينية، هذه نقطة. القاعدة الاولى عند التأويل عند العرفاء هو إيجاد التطابق بين الكتاب التدويني الذي هو كلام الله وبين الكتاب التكويني الذي أيضاً هو كلام الله ولكن ذاك كلام لفظي وهذا كلام و من الممكن أن يشار في الآية إلى كلا المعنيين فيراد في الكتاب مطلق الكتاب، و يكون المعنى أن الله سبحانه لا يفرط فيما يكتب من شيء، أما في كتاب التكوين فإنه يقضي و يقدر لكل نوع ما في استحقاقه أن يناله من كمال الوجود كالأنواع الحيوانية هيأ لكل منها من سعادة الحياة الأممية الاجتماعية ما هيأه للإنسان لما رأى من صلوحها لذلك فلم يفرط في أمرها، و أما في كتابه الذي هو كلامه الموحى إلى الناس فإنه يبين فيه ما في معرفته خير الناس و سعادة عاجلهم و آجلهم و لا يفرط في ذلك، و من ذلك أنه لم يفرط في أمر الأمم الحيوانية، و بين في هذه الآية حقيقة ما وهبه لها من نوع السعادة الوجودية التي جعلتهم أمما حية سائرة بوجودها إلى الله سبحانه محشورة إليه كالإنسان.

المطلب الثاني: العلاقة بين كتاب التدوين وكتاب التكوين في الحروف والكلمات

يوجد نوعان من الحروف والكلمات والجمل هما:

النوع الأول، التكوينية، والنوع الثاني: التدوينية.

فالكلمات التكوينية: هي الأساس التّي لها المصداقية العينيَّة، وأمّا الكلمات التدوينيَّة

فهي ليست على نحو الحقيقة، بل إطلاق الكلمات عليها على نحو المجاز، وسميت تدوينية باعتبار أنها تُدَون وتكتب وتلك الحروف التي إذا اجتمعت دلَّتْ على الحقائق العينيَّة الخارجية.

فعندما نقول مثلاً باب فهناك في عالم الخارج بابٌ هو مصداق للكلمة التي تلفظنا بها والكلمة تُمثِّل الباب العينيِّ الخارجيِّ، وكذلك كلمة سماء وأرض وبحر وغيرها، فالكلمة إذاً ليست هي حقيقة مستقلة قبال الحقيقة الموجودة في الخارج، وعليه لا يمكن أن نطلق الكلمة على الألفاظ، وإن أطلقت عليها فهو ليس إطلاقا حقيقيا بل هو على نحو المجازية.

والكلمات ليست إلاّ تَبيين أو إيجاد الأشياء الخارجيَّة في الذهن، فهناك شيء موجود في الخارج وهناك أمر آخر تلفظنا به، لكي نحقِّق صورةً من تلك الحقيقة في الذهن. فعندما نسمي الأرض بهذا الاسم (الهمزة والراء والضاد)، وأسمينا البحر (بالباء والحاء والراء والسماء بالسين والميم والألف والهمزة)، فلا نقصد به إلا الوصول من خلال تلك الكلمات إلى واقع وحقيقة الأرض والبحر والسماء، ولكن لنقل ذلك الواقع إلى ذهن المخاطب، كي يتصوَّر ما تصوَّرناه فيعرفه.

فلو كان هناك إنسان يعيش في البر مثلا ولم يرَ البحر قطّ وأردنا أن نبين له واقع البحر، فأفضل وسيلة هي استعمال الكلمات اللفظية، حيث أنَّ هذه الكلمات سوف توجد صور ذهنية عندنا، ولكن بشرط أن نبيِّن الواقع بشكلٍ صحيح وصورةٍ واضحةٍ لا غموض فيها فربَّ متكلِّمٍ لا يمكنه نقل كلّ ما في ذهنه إلى الآخرين، وذلك بسبب ضعف بيانه ومعرفته للكلمات التي يستخدمها حين الحديث أو عدم مراعاته أدب تلك اللغة، فكميَّة الكلمات مضافاً إلى أدب اللغة لهما دورٌ رئيسيٌّ في نقل المفاهيم إلى الآخرين.

الكلمات التكوينيَّة: وأمّا الكلمات التكوينيَّة فهي الحقائق العينيَّة والأمور الخارجية، التّي لها وجودٌ حقيقي، فمثلا واقع السماء والأرض والبرّ والبحر وغيرها كلمات تكوينيَّة، سميت تكوينية لأن الله كوَّنها وأوجدها، قال تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}(١٣).

فقول الله هو الإيجاد وليس التكلُّم، ولا يوجد هناك فاصل زمني بين الإيجاد والوجود

نعم هناك فاصل في الرتبة فقط، فهو من أوجدَها فوُجدت وهذا شأن كلّ علةٍّ ومعلول كما هو ثابت.

فجميع الموجودات التّي كونّها الله سبحانه وخلقها هي كلمات الله، وهي غير مختصّة بعالم المُلك والدنيا، بل تشمل عالم الملكوت، فالجنّة وما فيها كلماته التكوينيّة، ولكثرتها وعدم إمكان إحصائها قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(١٤)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١٥)، ومن الواضح أنّه ليس المقصود من الآية الكلمات المكتوبة بل الكلمات الواقعيّة العينيّة.

ومن أبرز كلمات الله هم الخمسة أصحاب الكساء صلوات الله وسلامه عليهم الذين بهم قبل الله توبةَ آدم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١٦).

وقد نقلت أحاديث كثيرة في هذا المجال نكتفي بذكر حديث واحد: (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت الخطيئة بآدم و أخرج من الجنّة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم ادع ربك قال يا حبيبي جبرئيل ما أدعو؟ قال قل ربِّ أسألك بحق الخمسة الذين تخرجهم من صلبي آخر الزمان إلا تبت علي ورحمتني، فقال له آدم يا جبرئيل سمِّهم لي، قال قل اللهم بحق محمد نبيك وبحق على وصي نبيك وبحق فاطمة بنت نبيك وبحق الحسن والحسين سبطي نبيك إلا تبت علي فارحمني، فدعا بهن آدم فتاب الله عليه، وذلك قول الله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، وما من عبد مكروب يخلص النية ويدعو بهن إلا استجاب الله له)(١٧) وقال تعالى: ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾(١٨).

ففي تفسير علي بن إبراهيم: ((بالأئمة والقائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم))(١٩).

كما أنَّ القرآن الكريم أطلق على النبي عيسى عليه السلام أنّه كلمة من كلمات الله قال عزَّ شأنه: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾(٢٠).

ونلاحظ في هذه الآية المباركة أنَّ المسيح عيسى ابن مريم اسم ذلك النبي الذي هو كلمة الله وهو حقيقة خارجية مقدَّسة، وقال سبحانه: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٢١].

والكلمة التي صدَّق بها يحيى انما هو المسيح عيسى عليه السلام كما يستفاد ذلك بانضمامها إلى الآية السابقة وذهب إليه أكثر المفسِّرين.

وربَّما تطلق الكلمة على الحوادث التّي لها بالغ الأهميَّة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢٢]، فالآية تشير إلى الوقائع والحقائق الخارجية التي ابتلي إبراهيم عليه السلام بها، وهي تتمثَّل في قضية إلقائه في النار، ومواجهته النمرود، ذبح ابنه إسماعيل، وغيرها، فكلُّ هذه القضايا حقائق خارجية أطلق عليها كلمات.

وقد ورد في التوقيع الصادر من الناحية المقدسة للإمام الحجة عجل الله فرجه: (اللهم صل على محمد حجتك في أرضك وخليفتك في بلادك والداعي إلى سبيلك والقائم بقسطك والثائر بأمرك، ولي المؤمنين وبوار الكافرين، ومجلي الظلمة، ومنير الحق، والناطق بالحكمة والصدق، وكلمتك التامة في أرضك، المرتقب الخائف، والولي الناصح، سفينة النجاة، وعلم الهدى، ونور أبصار الورى، وخير من تقمص وارتدى).[٢٣].

والأدعيَّة المأثورة عنهم عليهم السلام كثيرة ومليئة بذلك، كدعاء السمات ودعاء جوشن الكبير وغيرهما.

وعلى ضوء ما تقدم نستنتج أنَّ الكلمات هي حقائق خارجيَّة قبل أن تصير ألفاظاً، وتلك الحقائق لا فرق فيها بين أن تكون أمور عينيَّة خارجيَّة أو وقائع وحوادث مهمَّة.

ثمَّ إنَّه ليس من الضروري مشاهدة جميع الكلمات التكوينيَّة حسّاً بل يمكن لنا أن ننظر إلى بعضها بأعيننا الظاهرية وأمّا البعض الآخر فتفتقر إلى هذه العين الملكوتية البرزخيَة.

وكم من إنسان لا يفهم الكلمات التكوينيَّة ولا يبصرها مع أنَّه ينظر اليها بعينيه الظاهرية، فهو يرى و لا يبصر، كما ورد في القرآن الكريم عن الذين كانوا ينظرون إلى

رسول الله ﷺ: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٢٤].

فليس كل ما نراه نعرفه بل إننا لا نعرف حقيقة الأشياء أصلاً، فالبصر في عالم الدنيا أيضا يحتاج إلى دقّة وإلى مستوى عالي من الرقيّ الروحي، فلا يتحقّق البصرُ بمجرّد النظر، حيث أنَّ الحيوانات أيضاً تنظر لكنها لا تدرك ولا تفهم اكثر ما تراه.

ويمكن أن نستفاد من هذه الفكرة في الكتاب التكويني انقسام النظر إلى عالم التكوين إلى ما يدرك والى ما لا يدرك ونطبقها في الكتاب التدويني فنقول ان الكتاب التدويني كتاب الله العزيز أيضاً ينقسم إلى قسمين :الأول تكويني والثاني تدويني.

فجميع الحقائق الموجودة في الكتاب التكويني، موجودة أيضا في الكتاب التدويني - كتاب الله- لأنَّ القرآن الكريم ليس إلاّ مظهراً للكتاب التكويني، فجميع الكتب مهما كانت واسعة فهي لا تستوعب كلَّ الكتاب التكويني، ولا تمثّله، بل ينعكس فيها كمٌّ قليلٌ من الكتاب التكويني، فمثلاً كتب الطب أو البيئة أو العلوم الأخرى لا تمثل جميع التكوين وإنما تمثّل قسماً من عالم التكوين، بحسبها.

أما القرآن الكريم فهو الكتاب الوحيد الذي يمثل جميع ما في عالم التكوين، حيث أنَّ الله سبحانه وتعالى بقدرته المطلقة جمع الكلام التكويني بما فيه من الخصوصيات، في كتابه الكريم.

فهو كتاب تدويني مشتمل على جميع الكلمات التكوينية، فالحقائق الموجودة في الخارج أصبحت حروفاً، فلو سمعنا عن الاسم الأعظم، أو علم الكتاب، أو علم من الكتاب، فلا نتوهم أنَّ المقصود من ذلك صرف الكلمات فقط بل المراد الكلمات التي تمثل عالمَ العين والخارج، فهي في الحقيقة ليست إلاّ وقائع خارجية، ولكن ليس لكلّ إنسان أن يعرف ما في القرآن بل يحتاج ذلك إلى الجدّ والجهد، فكما أنه تعالى وبالنسبة إلى كتاب التكوين يقول: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[٢٥]، فلابد للإنسان من أن يبحث للعثور على الرزق، فكذلك بالنسبة إلى القرآن لا بد من الجهد والفحص والدقّة حتى يتوصل الإنسان إلى كنوزه التي لا تنفد وعجائبه التي لا تنقضي.

"ففاتحة الكتاب التكويني الإلهي الذي صنفه (تعالى جدّه) بيد قدرته الكاملة بالوجود

الجمعي الإلهي المنزّه عن الكثرة المقدّس عن الشَين والكدورة بوجهٍ هو عالم المعقول المجردة والروحانيين من الملائكة والتعين الأول للمشيئة وبوجهٍ عبارةٌ عن نفس المشيئة فإنّها مفتاح غيب الوجود وفي الزيارة الجامعة: بكم فتح الله، لتوافق أفقهم عليهم السلام لأفق المشيئة كما قال الله تعالى حكاية عن هذا المعنى: ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، وهم عليهم السلام من جهة الولاية متحدون أوّلنا محمّد، أوسطنا محمد، آخرنا محمد، كلّنا نور واحد، ولكون فاتحة الكتاب فيها كلّ الكتاب والفاتحة باعتبار الوجود الجمعي في بسم الله الرحمن الرحيم وهو في باء بسم الله وهو في نقطة تحت الباء قال علي عليه السلام: أنا النقطة، وورد: بالباء ظهر الوجود وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود"(٢٦).

فكما أنَّ الكتاب التدويني يبدأ بسورة الفاتحة فالكتاب التكويني أيضاً كذلك ففاتحة الكتاب التدويني هو{بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين}.

المطلب الثالث: تطبيقات العلماء للنظرية

قال الطبرسي في مجمع البيان: (سمِّيت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها، ولوجوب قراءتها في الصلاة، فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة)(٢٧).

وقد وردت أحاديث تؤكّد أهميَّة هذه السورة منها ما ورد: (إن الله خص بسورة الفاتحة محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وشرفَّه بها، ولم يشرك معه فيها أحداً من أنبيائه ما خلا سليمان عليه السلام، فإنَّه أعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت: إنِّي ألقي إليَّ كتاب كريم إنَّه من سليمان وإنَّه بسم الله الرحمن الرحيم)(٢٨).

وهي أوَّل سورة من الكتاب التدويني من حيث الافتتاح لا من حيث النزول، وكذلك الكتاب التكويني له فاتحة وهي أوَّل سورة لها وهي أوَّل ما ظهر من العوالم بعد مرحلة الغيب المطلق وعالم الأحديَّة الذي لا سبيل للوصول إليه، فأوَّل ما ظهر هو التعيُّن الأول، وهو عالم العقول المجردة أي عالم الروحانية، وهو أوَّل مصداقٍ لمشيئته تعالى.

وكما ورد في الحديث عن زيد الشحام قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام أيّما أفضل الحسن أم الحسين؟ فقال: (إن فضل أوَّلنا يلحق بفضل آخرنا، وفضل آخرنا يلحق بفضل أوَّلنا، وكلٌ له فضل، قال: قلت له جعلت فداك وسِّع عليَّ في الجواب فإنِّي والله ما سالتك إلا

مرتاداً، فقال: نحن من شجرة طيبة برانا الله من طينة واحدة، فضلُنا من الله، وعلمُنا من عند الله، ونحن أمناؤه على خلقه، والدُّعاة إلى دينه، والحجاب فيما بينه وبين خلقه، أزيدك يا زيد! قلت نعم، فقال: خلقُنا واحد، وعلمُنا واحدٌ، وفضلنا واحد، وكلُّنا واحدُ عند الله تعالى، فقال: أخبرني بعدَّتكم، فقال: نحن اثنا عشر هكذا حولَ عرش ربنا عزّ وجلّ في مبتدأ خلقنا أولَّنا محمد، وأوسطنا محمد، وآخرنا محمد)[٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٣٠]، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قوله تعالى: (والسابقون السابقون أولَّئك المقربون قال: ((نحن السابقون ونحن الآخرون)[٣١]، قال الإمام قدّس سرُّه:"وفي بعض خطب أمير المؤمنين ومولى الموحدين سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب صلوات اللّه وسلامه عليه: "أنا اللوح وأنا القلم، أنا العرش، أنا الكرسي، أنا السموات السبع، أنا نقطة باء بسم اللّه وهو سلام اللّه عليه بحسب مقام الروحانية يتحدُّ مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم أنا وعلي من شجرة واحدة وقال: أنا وعليٌّ من نور واحد إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على اتحاد نورهما عليهما السلام وعلى آلهما"[٣٢].

والجدير بالذكر إن ما ورد في الحديث التالي عن ابن عبّاس قال:(إن أوَّل ما خلق الله من شيءٍ القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة والكتاب عنده ثم قرأ: "وإنَّه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم")[٣٣]، وفي حدث اخر:(عن أبي عبد الله عليه السلام وقد سأله سائل عن قول الله عزّ وجلّ: وإنَّه في أمّ الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم، قال: هو أمير المؤمنين)[٣٤].

وفي دعاء الغدير المنقول في التهذيب والمصباح: (فاشهدْ يا إلهي إن الإمام الهادي المرشد الرشيد علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين الذي ذكرتَه فى كتابك فقلت: وإنّه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم)[٣٥].

وعلى ضوء ما ذكر يمكن الجمع بين الأحاديث المختلفة في هذا المجال ففي الحديث الذي يتحدَّث عن أسئلة الشامي من أمير المؤمنين عليه السلام، قال الشامي:(أخبرني عن أوَّل ما خلق الله تبارك وتعالى فقال: النور)[٣٦]، كما يوجد حديثاً آخر روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أوَّل ما خلق الله نوري)[٣٧].

وقد ورد عن النبي ﷺ هو العقلُ الأول الذي وردت أحاديث كثيرة في شأنه وأنَّ: (أوَّل ما خلق الله العقل)[٣٨].

ما المقصود بالإمام المبين في الكلمات التكونية من هنا يمكننا معرفة الآية في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٣٩]، فإن الإنسان الكامل يشتمل على كلِّ شيء وكل حادثة، ونحن نعتقد أنَّ أئمتنا عليهم السلام يعلمون ما كان وما هو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة، فإذا عرف الإنسان خليفة الله فقد عرف الله، لأن خليفة الله هو باب معرفته تعالى، وكل صفة من صفاته تجل ومظهر لصفة من صفات الله سبحانه، فعلمه مظهر لعلم الله، وقدرته مظهر لقدرت الله، وحلمه مظهر لحلم الله، وهكذا سائر الصفات، وهو متوازي مع القرآن الكريم، فهو القرآن الناطق المشتمل على كلِّ شيء كما أنَّ القرآن الذي بين الدفتين في المصحف الكريم هو الكتاب الصامت الذي يقول عنه تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٤٠].

ولذا قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٤١].

ونرى في الحديث المعروف عن النبي ﷺ (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[٤٢].

ذكر صدر المتألهين قدس سره احتمالات أربعة لهذا الحديث الشريف ومن جملتها:من عرف الإنسان الكامل هو النبّي الأكرم ﷺ فقد عرف ربَّه[٤٣]، إذ أنَّ الإنسان الكامل هو المثل الأعلى لله سبحانه، فبمعرفته يعرف الإنسان ربَّه، واذا كان النظر إلى المخلوقات يوصل الإنسان إلى الربّ، فحينها يتعرَّف الإنسان إلى ربه، فنلاحظْ دعاء الجوشن الكبير العظيم الشأن الذي رواه جماعة من العلماء (رضوان الله عليهم)، وهو من الأدعية المعروفة المروية عن الإمام زين العابدين عن أبيه عن جدِّه علي بن أبي طالب عن النبي الأكرم صلوات الله عليهم: (يا رب النبيين والأبرار، يا رب الصدِّيقين والأخيار، يا ربّ الجنة والنار، يا ربّ الصغار والكبار، يا ربّ الحبوب والثمار، يا ربّ الأنهار والأشجار، يا ربّ الصحاري والقفار، يا رب البراري والبحار، يا ربّ الليل والنهار، يا ربّ الإعلان والإسرار)[٤٤].

فكل من يتكلَّم فهو يحب أن يُظهر ما في ضميره ويحب أن يعلنه، فمنشأ التكلّم هو العشق، والقرآن الكريم فيه إظهار للغيب المطلق الذي يعتبر الكنز المخفي، ففي الحديث)إنَّ الله تعالى تجلَّى في كتابه و لكنهم لا يبصرون)[٤٥].

ومن هنا صار النظر إلى الكتاب الإلهي مثل النظر إلى الله سبحانه وتعالى، وكذلك الإنسان الكامل أعني الرسول الأكرم ﷺ مثل القرآن الكريم بالنظر إليه يعرف الله سبحانه وتعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾، "المراد منها نفوس الكمَل من الأنبياء والمرسلين، لأنَّ نفسَ كلِّ واحدٍ منهم كلمة تامة نازلة من عند رب العالمين "كتاب مرقوم يشهده المقرَّبون" مشتملٌ على آيات الملك والملكوت وأسرار قدرة الله والجبروت، ثم اصطفى من بينهم كلمةً جامعةً "أوتيت جوامع الكلم"، وأرسل إلينا رسولاً كريماً، ونوراً مبيناً، وقراناً حكيماً، وصراطاً مستقيماً، وتنزيلاً من العزيز الرحيم، فجعل نسخة وجوده نجاةَ الخلق من عذاب الجحيم، وكتابَه خلاصاً من ظلمات الشياطين، والقرآنَ النازل معه براءة العبد من سلاسل تعلُّقات النفس ووساوس إبليس اللعين"[٤٦].

الخاتمة:

وصلنا إلى نهاية البحث وتم فيه استعراض نظريتين مهمتين من مبادئ المنهج الاشاري وهما نظرية روح المعنى ونظرية تطابق كتاب التدوين والتكوين، وتم تناولهما من زاويتين الأولى من الناحية النظرية والثاني من الناحية التطبيقية، وتم بيان النظريتين ومدى اهميتهما في هذا المنهج، وكيف ان هذا المنهج قد تأثر بهما بشكل كبير، بل يمكن القول ان بعض المفسرين قد تأثروا بها أيضا.

النتائج:

بعد استعراض مبدأين مهمين من مبادئ المنهج الاشاري توصل البحث إلى النتائج التالية:

١- ان المنهج الاشاري قد اعتمد على مبادئ ومباني انطلق منها أصحاب المنهج.

٢- أهمية نظرية روح المعنى في التفسير.

٣-أهمية نظرية تطابق كتاب التدوين والتكوين.

٤- كثير من الايات تم تفسيرها اعتمادا على النظريتين اللتين دار البحث حولها.

هوامش البحث

(١) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، (ت:١٤١٢)، القرآن في الإسلام، تحقيق وتعريب: السيد أحمد الحسيني، لبنان: بيروت، نشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٣ه، ط:١، ج١، ص٤٩.

(٢) ينظر: تفسير ابن تيمية، ج ١، ص ١٢٣، تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٥٦، تفسير الطبري، ج ١، ص ٧٨٩، تفسير ابن حزم، ج ١، ص ٢٣٤، تفسير الزجاج، ج ١، ص ٥٦٧.

(٣) حب الله، حيدر، الدرس الأسبوعي تفسير سورة القارعة، HaidarHobbollah/posts/ الدرس-التفسيري-الأسبوعي-للشيخ-حيدر-حب-الله، سورة-القارعة-٣للاستماع.httpsgooglh

(٤) ينظر: الطباطبائي، محمد حسين، (ت:١٤١٢)، القرآن في الإسلام، تحقيق وتعريب: السيد أحمد الحسيني، لبنان: بيروت، نشر: دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٣ه، ط:١، ج١، ص١٠.

(٥) الغزالي، جواهر القرآن: ٢٩ - ٣٠، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٥، سنة ١٤٠٣م.

(٦) سورة العلق، اية:٤.

(٧) الشيرازي، *تفسير القرآن الكريم*: ج١، ص ٣٤.

(٨) المصدر نفسه: ح:٧، ص:٤٢.

(٩) المصدر نفسه: ح:١، ص: ١٥.

(١٠) ينظر تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، (في تفسير قوله تعالى يد الله فوق أيديهم).

(١١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج:٢، ص:١٥٠، دار الفكر للطباعة-بيروت.

(١٢) المصدر نفسه: ج:٤، ص:١٩٩، دار الفكر للطباعة-بيروت

(١٣) النحل:٤٠.

(١٤) الكهف:١٠٩.

(١٥) لقمان:٢٧.

(١٦) البقرة:٣٧.

(١٧)المجلسي، محمد باقر محمد تقي، (ت: ١١١١هـ.ق)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لبنان، بيروت، نشر: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ.٢٦ /٣٣٣، الرواية١٥ باب٧.

(١٨) يونس:٨٢.

(١٩) المجلسي، محمد باقر محمد تقي، (ت: ١١١١هـ.ق)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لبنان، بيروت، نشر: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ.٢٦ /٣٣٣، الرواية١٥ باب٧: ج٩ ص٢٣٤ الرواية١٢٩ باب١.

(٢٠) آل عمران:٤٥

(٢١) آل عمران:٣٩.

(٢٢) البقرة:١٢٤.

(٢٣) مصدر سابق: البحار،٢/٩٤.

(٢٤) الأعراف:١٩٨.

(٢٥) الملك:١٥.

(٢٦) الخميني، روح الله، (ت: ١٤٠٩هـ .ق): ***شرح دعاء السحر***، الناشر: مؤسسة الإمام الخميني (ع) للتحرير والنشر، مكان النشر: إيران - طهران، سنة النشر: ١٣٧٤هـ .ش، ط: ١، ص٦٤.

(٢٧)الطبرسي، الفضل بن الحسن، (ت: ٥٤٨ه)، تفسير مجمع البيان، لبنان، بيروت، تح: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٥ه.ق، ط: ١،١/٤٧.

(٢٨)المجلسي، محمد باقر محمد تقي، (ت: ١١١١هـ.ق)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لبنان، بيروت، نشر: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ.٢٦ /٣٣٣، الرواية١٥ باب٧: ج٩١٤ص١٢٨.

(٢٩) المصدر نفسه، ٢٥ /٣٦٣.

(٣٠) الواقعة/١٠-١٢.

(٣١) بحار الأنوار ٤/٢٤.

(٣٢) مصدر: سابق: شرح دعاء السحر ص٨٧.

(٣٣) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢١٠.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ٣٠٤.

(٣٦) بحار الأنوار ج ١ ص ٩٦.

(٣٧) المصدر السابق: ج ١ ص ٩٧.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) سورة يس:١٢.

(٤٠) سورة الأنعام:٥٩.

(٤١) سورة فصلت: ٥٣.

(٤٢)بحار الأنوار،٢،٣٢.

(٤٣)صدر المتألهين الشيرازي، محمد بن إبراهيم، (ت:١٠٥٠ه)، ***الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة***، لبنان، بيروت، نشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٠هـ، ط:١، ج٢، ٢٧٥.

(٤٤) بحار الأنوار،٩٤، ٣٩١.

(٤٥) الفيض الكاشاني محمد محسن بن شاه مرتضى، (ت: ١٠٩١هـ)، المحجة البيضاء، إيران، قم، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، ١٤٢٨هـ،٢، ٢٧٤.

(٤٦)مصدر سابق: الحكمة المتعالية،٧ /٢٠.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم خيرما يبتدأ به

ثانيا: المصادر والمراجع

١- آتش، سليمان، مكتب تفسير اشاري، مكتب تفسير إشاري، طهران، سنة النشر: ١٣٨١ هـ.

٢- بن أبي فراس، مرام، مجموعة ورام، مكتبة الفقيه، قم.

٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب (ت ٧١١ه)، ط١، ١٠٤٥هـ، دار إحياء التراث العربي، نشر أدب الحوزة، ايران قم .

٤- الآصفي، محمد مهدي، تأملات في العرفان والسلوك، ط٢، ١٤٣٠هـ،٢٠٠٩م، مجمع أهل البيت عليهم السلام، النجف الأشرف .

٥- الاميني، محمد هادي، معجم رجال الفكر والادب خلال الف عام، ط١، ١٣٨٤ه- ١٩٦٤م، مطبعة الآداب، النجف الاشرف + ط٢، ١٤١٣ه/ دار الكتاب الإسلامي، لبنان بيروت .

٦- الجزائري نعمة الله، نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين، (ت ١١١٢هـ)، تح: السيد الرجائي، ط١، ١٤١٧ه، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ايران قم .

٧- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ط١، ١٤١٦ه، طبع وتح ونشر: دار الحديث - ايران قم .

٨- المظفر، محمد رضا، عقائد الأمامية، مطبعة بهمن، إيران قم، انتشارات، أنصاريان.

٩- المظفر، محمد رضا، المنطق، ط٣، ١٤١٤هـ، دار التعارف، لبنان- بيروت .

١٠- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان. (١٤١٤هـ). أوائل المقالات. بيروت: دار المفيد.

«ـــــــــــــــــــــــــــ». (١٤١٤هـ). تصحيح اعتقادات الإمامية. تح: حسين درگاهي. بيروت: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع.

١١- المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص (ت ٤١٣هـ)/تح: علي اكبر غفاري، جماعة المدرسين - قم.

- أوائل المقالات،تح: الأنصاري إبراهيم، ط٢، ١٤١٤هـ، دار المفيد، لبنان بيروت.
- مسالة في الإرادة، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار المفيد، لبنان بيروت .
١٢- الموسوي، سيد هاشم. (١٤٢٠هـ). القرآن في مدرسة أهل البيت(عليهم السلام). بيروت: مركز الغدير للدراسات الإسلامية.
١٣- الميبدي، محمد فاكر. (١٣٨٥ش). قواعد التفسير لدي الشيعة والسنة. طهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.
١٤- النراقي، احمد بن محمد مهدي، مستند الشيعة في أحكام الشريعة، (ت ١٢٤٥ه)، تح ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مشهد، ط١ - ١٤١٥هـ، مطبعة ستاره، ايران قم .
١٥- النراقي،محمد مهدي، جامع السعادات، (ت ١٢٠٩ه)، تح: محمد كلانتر، قدم له: محمد رضا المظفر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
١٦- النيسابوري، مسلم بن الحجاج. (د.ت). الجامع الصحيح -صحيح مسلم. بيروت: دار الآفاق الجديدة.
١٧- عبد الباقي محمد فؤاد، المعجم المفهرس، ط١٤٢٩/١هـ- ٢٠٠٨م، دار المعرفة - لبنان بيروت .
١٨- قلعجي، محمد، معجم لغة الفقهاء، ط٢، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م، دار النفائس، لبنان بيروت.
١٩- محمد شقير:
- الأسس المبنائية للعرفان وعلاقته مع الشريعة، ط١ - ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، دار الهادي - لبنان بيروت .
- فلسفة العرفان، ط١ - ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، دار الهادي - لبنان بيروت .
٢٠- مرتضى مطهري.
-الإنسان الكامل، تر: جعفر صادق الخليلي، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، دار الحوراء - لبنان بيروت .
-العرفان والدين والفلسفة، ط١، ١٤٣٠ه، ٢٠٠٩م، دار الإرشاد- لبنان بيروت.
-محاضرات في الفلسفة الإسلامية، تر: عبد الجبار الرفاعي، ط٢، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م، مطبعة ستارة، دار الكتاب الإسلامي، ايران قم.
٢١- مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام (ت١٤٨ه)/ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسسة الاعلمي- لبنان بيروت .
٢٢- ملكي ميانجي، محمد باقر. (١٤٠٠هـ). بدايع الكلام في تفسير آيات الأحكام. بيروت: مؤسسة الوفاء.
٢٣- يونس، مهدي، ما هو العرفان، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، دار الهادي، لبنان بيروت.